وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : تعريف الإلحاد

تعريف الإلحاد

محاضرة من إعداد الدكتور محمد هادي شهاب التكريتي

تعريف الإلحاد :

الإلحاد في اللغة : مصطلح مشتق من الفعل لَحَدَ .

قال ابن فارس : (اللام والحاء والدال ، أصل يدل على الميل عن استقامة ، يقال :

ألحدَ الرجُلُ ، إذا مال عن طريق الحق والايمان)

وإنما سُمي اللحدُ لحداً ، لأنه ميل به في أحد جولي القبر

والملحد : العادل عن الحق ، الذي جاء بما ليس فيه .

قال الزبيدي : (الملحد : الذي لا يؤمن بالآخرة)

أي أنه يفضي الى الميل الكامل عن طريق الحق القويم ، والكفر بالآخرة وبالرب العظيم ، وعمل كل ما يوهن عرى الإيمان ، من أجل الفوز بملذات الدنيا كلها بعد رفض القانون الإلهي ، وإنكاره ، والاعتراض على جميع الشرائع الأخلاقية الربانية .

الإلحاد اصطلاحاً :

تيار فكري يتبنى إنكار وجود الله تعالى ، ويفسر عالم ما وراء الطبيعة من الغيبيات بالخرافات والأوهام .

(وما من تهمة كانت أكثر تداولاً من الإلحاد ، ففي الماضي يكفي للمرء حتى يتهم بهذه التهمة أن لا يشاطر الناس الآراء السائدة والمعتقدات الرسمية مهما تكن فاسقة أو فاحشة .)

فمثلاً سقراط : اتُهِمَ بالإلحاد وحكم عليه بالموت ، بالرغم من قوله بوجود إله واحد ، وكذلك افلاطون وابن سينا وديكارت ، لم يسلموا على اختلاف مذاهبهم من تهمة الإلحاد ، لمخالفتهم آراء أهل زمانهم .

يقوم منهج الإلحاد والملحدين على إنكار الخالق بمنتهى الوضوح ، حيث يجعل المادة مبدأ الحياة ، وأساس تكوين الكون وجميع المخلوقات ، عن طريق الإيمان بأزلية المادة وأبديتها ، وإنكار كل ما غاب عن الحس .

أما الإنسان عندهم ، فهو مجرد آلة مادية متكونة من التفاعلات الكيميائية ، تتحكم في أموره قوانين الطبيعة المادية .

نشأة الإلحاد

الإلحاد في الماضي .

بدأ الإلحاد في القدم عند الفلسفة اليونانية التي كانت تؤمن بتعدد الآلهة ، حيث تم ربط كل آلهة بظاهرة طبيعية ، ظنّاً منهم أن للزرع آله ، وللبحر إله ، وللحرب إله وللسلام إله .

ثم إننا نلاحظ الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس" قد كفر بكل هذه المباديء عن طريق مذهبه الذري .

حيث زعم أن الكائنات عبارة عن مادة وحركة ، متألفة من ذرات متجانسة ، مع القول بأزلية الذرات وأبديتها ، لأنها متحركة بذاتها ، دون تدخل قوة غيبية خارقة.

(ويعرض تراث الفلسفة اليونانية أمامنا ألواناً من الصراع الفكري أيام ازدهارها عند اليونان ، فنجد فيه الكلمة المؤمنة ، كما نجد الكلمة الملحدة ، ثم الحيرة التي انتابت جماعة منهم ، فهامت في بحار من الجدل والعبث واللهو بالألفاظ ، وهم الذين عُرفوا باسم السوفسطائيين ، ثم ارسطو الذي نادى بالمحرك الأول لهذا العالم ، ومن قبله أستاذه وصديقه أفلاطون ، الذي أغرق الفكر الفلسفي بنظرية المثل ، وبنى العالم بأسره خلف الطبيعة ، وجعل هذا العالم الغيبي هو الأصل الأصيل لهذا الوجود)

وإليك قول ديمقريطس الذي يؤكد فيه على قدم الطبيعة : (إن علل الأشياء التي تأتي الى الوجود ليس لها بداية ، ولكن من زمن لا متناهٍ سحيق ... ومن ثَمَّ فإن العالم يبقى زمانياً بدون بداية ، وبدون نهاية)

لقد أثارت أفكاره إعجاب الكثير من الملحدين ، والذين تبنوا أزلية المادة ونفي القانون الإلهي ، فضلاً عن رفض الأخلاق ، ونشر الإباحية المطلقة .

أما في العصر الروماني :

فكان الفيلسوف الروماني لوقريطس في أوائل القرن الأخير قبل الميلاد أبرز من نادى بأفكار اليوناني ديمقريطس ، حيث نشر أفكاره ، وأشاعَ مبادئه ، وقال بمادية الروح والعقل ، فضلاً عن الإنكار المطلق لوجود خالقٍ مبدع لهذا الكون .

وفي عصر الجاهلية في بلاد العرب :

كانت شرارة الإلحاد قد انطلقت عند الدهرية الذين قالوا بقدم العالم وأزليته ، وأنكروا الخلق والبعث والنشور ، حيث جاءوا بفكرة الطبع المحيي ، والدهر المفني .

وقد سُمُّوا بالدهرية لإضافتهم النوائب كلها الى الدهر ، فَسّبُّوا الدهر بحجة أنه من جاء بالمصائب والمشاكل الى الحياة ، فكانت نسبة هذه القوة الى الدهر بمثابة تعطيل لقدرة

الإله الذي لم يؤمنوا به أصلاً ، في حين نجد استخدام مصطلح الإلحاد يطلق على من لم يتبع ديناً .

وبالفعل فإننا كثيراً ما نجد في الكتب المقدسة ذكر فئات من الملحدين والكافرين بالدين وبيوم القيامة ، في حين يؤمن الباقون بآلهة على شكل اصنام غالبا ما تتم صناعتها بأيديهم .

وعندما أصبح الإسلام الدين الرسمي للبلاد العربية ، ظهر الإلحاد في العصر العباسي ليعبر عن المخالفات العقدية لثوابت الدين الحنيف ، ومن اهم هذه المخالفات الخطيرة : مسألة إنكار النبوة ، التي ابتدعها ابن الراوندي حيث شكك بعقائد الإسلام ، وأنكر النبوة كما أسلفنا، فضلاً عن إنكاره لوجود الله تعالى .

وبسبب إعلانه عن آرائه الإلحادية ، قام المفكرون في زمانه بتناول معتقداته ، ونقد أفكاره والرد على ترهاته ، لذلك يُعّدُّ الراوندي ت ٢٩٨هـ رائد الإلحاد والزندقة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري في البلاد الإسلامية . .

قال القاضي أبو علي التنوخي: كان ابن الراوندي ملازماً لأهل الإلحاد، فإذا عوتب في ذلك قال: إنما أردت أن أعرف مذاهبهم . ومن قبله اتُّهِمَ ابن المقنع بالزندقة والإلحاد ، بسبب نشأته المجوسية على المذهب المانوي ، وتحوله الى الإسلام لأسباب تتعلق بالحفاظ على كرامته ، والجاه والتقرب من سلطة العباسيين .

أما في أوربا :

فقد أصبح الإلحاد في عهد الثورة الصناعية ، علامةً فارقة على تمجيد الاكتشافات العلمية التي أدى تعظيم أمرها الى إنكار الغيبيات ، حتى وصل بهم الأمر الى الكفر بالخالق ، وتأليه الإنسان .

(وعلى هذا اصبح الغرض من تسمية عصر النهضة : هو اكتشاف عظمة الانسان وقدرته ، وساد ما يُعرف بالأسلوب العلمي الذي يعتمد على التجربة والاختبار)

وذلك بسبب انتهاك الكنيسة للحقوق العلمية للكثير من المفكرين ، والذي أدى إلى اتخاذ موقف سلبي يعكس الاضطهاد الذي مورس على العلماء باسم الدين .

فقد نقل محمود مزروعة عن أبي الحسن الندوي قوله : (إن رجال الدين ، دسوا في كتبهم المقدسة معلومات بشرية ، وإن كانت كتبهم كلها من وضع البشر ومسلمات علمية عصرية ، تتصل بالتاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية ، ربما كانت أقصى ما وصل إليه العلم في ذلك الوقت ، وربما كانت حقائق لا شكَّ فيها بالنسبة لرجال ذلك العصر ، ولكنها ليست أقصى ما وصل إليه العلم الانساني ، وإذا كان ذلك غاية ما وصل إليه البشر في عصر من العصور ، فإنه لا يؤمن عليه التغير والتحول ، فإن العلم الإنساني متدرج مترقٍّ ، لا يقف عند حدٍّ معين ، ولا يثبت على حالٍ واحدة ، فمن بنى عليه دينه ، فقد بناه على كثيب من الرمال ، ولعل رجال الدين لما أدخلوا المعلومات الجغرافية والتاريخية والطبيعية في كتبهم المقدسة ، واعتبروها حقائق دينية ، لعلهم فعلوا ذلك بنية حسنة ، لكن ذلك كان أكبر جناية على أنفسهم ، وعلى الدين ، وكان سبباً للكفاح المشؤوم بين الدين والعلم الذي هو من وضع البشر هزيمة منكرة ، وسقط فيه رجال الدين سقوطاً لم ينهضوا بعده ثم أصبحت أوربّا للسبب نفسه ، دولاً لا دينية)

أما في عصر أوربا الحديث .

فقد ظهرت فلسفات وضعية ورؤى علمية ناهضت الدين ، وكل ما يتعلق به ، حيث ظهر ماركس بالإباحية والالحاد ، ثم جاء تشارلز دارون بنظرية التطور الداروينية ([1])

([1])مذهب التحول او التبدل ، يتلخص في أن الكائنات الحية في تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح ، وهو أي ـ داروين ـ يقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة ، ومن

التي تنص على أن جميع أنواع الكائنات الحية تنشأ وتتطور من خلال عملية الانتقاء الطبيعي للطفرات الموروثة التي تزيد من قدرة الفرد على المنافسة والبقاء على قيد الحياة والتكاثر ، وبالتالي ، لا حاجة لوجود لوجود خالق أبدع كل هذا الكون .

ثم تبعه فريدريك نيتشه الذي جاء بفلسفة "موت الإله" التي جوبهت بشتى أنواع الأدلة العقلية والنقلية في جميع بلدان العالم ، رغم اقتناع الكثير من الجهلة وضعفاء الإيمان بها .

(وبدأت تدريجياً –وخاصّةً على يد الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (ت: ١٨٦٠م) – بروز فكرة أنّ الدين من صنيعة البشر، ابتكروه لتفسير ما هو مجهولٌ لديهم من ظواهر طبيعيّةٍ أو نفسيّةٍ أو اجتماعيّةٍ ، وتزامنت هذه الأفكار مع بحوث تشارلز داروين وكتابه (أصل الأنواع) سنة ١٨٥٩م الذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، وترك آثاراً سلبية في الفكر العالمي، وأعلن فريدريك نيتشه من جانبه موت الخالق الأعظم، وذهب إلى أنّ الدين فكرةٌ عبثيّةٌ، وجريمةٌ ضدّ الحياة؛ إذ إنّه من غير المعقول أن يعطيك الخالق مجموعةً من الغرائز والتطلعات، ثمّ يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إيّاها مرّةً أخرى بعد الموت.)

ومن أبرز أمثلة الإلحاد في العصر الحديث : ظهور الإلحاد المذهبي المتمثل بالشيوعية التي جعلت من الإلحاد ديناً رسمياً لها ، ومن المادة والمادية منهجاً للحياة وطريقاً ، وطريقاً للعيش ، في محاولة منهم لنشر القيم الفاضحة ، وهتك القوانين الأخلاقية التي نصت عليها الكتب الإلهية المنزلة .

مقولاته أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حدَّ لقدرتها على الخلق . ينظر : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، ت ١٤٢٥هـ ، دار القلم، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م / ٣٦١.